وقفة: مع القرآن الكريم

إنه كتاب الله تعالى، الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله الله لهداية الناس أجمعين، ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

فحري بنا أيها الأحبة أن نعرف لهذا الكتاب قدره، وأن نقبل على تلاوته وحفظه، وأن نسبر غور معانيه، وأن ننهل من معينه الصافي ما يشفي صدورنا، ويطهر أرواحنا من أدران الضلالة والجهالة.

أهل القرآن تتفجر الحكمة من جوانبهم، إذا نطقوا أنصت التأريخ لهم، وإذا تكلموا سكت الجميع، وإن أمروا استجاب الناس لتوجيهاتهم، وما ذلك إلاّ لأن القرآن صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، فكان حقًا على الله أن يرفع مكانتهم، وأن يعلي شأنهم، ولا غرابة في ذلك، فإن الحبيب محمدًا صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة، فقال عليه الصلاة والسلام: ♂**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**♂، متفق عليه.

فكن أيها المسلم من أهل القرآن، وتأمل الحديث السالف ذكره، ففيه تشبيه رائع وجميل يرسم صورة صادقة لمواقف الناس من القرآن، فالمؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة، وهذا ليس إلا للمؤمن الذي جعل قراءة القرآن دأبه وغايته، فهو يقضي نفيس عمره في تلاوة كتاب ربه، وليؤثر القرآن في حياته، فينعكس على سلوكه، وأفعاله، وأخلاقه، فلا يصدر منه إلا خير، ولا ينطق إلا بالخير.

إنه كتاب الهداية، إنه القرآن، من اعتصم به فقد هُدي إلى صراط مستقيم، إنه قرآن الهدى والفرقان، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن جعله إمامه كان دليله إلى الجنة، ومن اتخذ كتاب الله وراءه ظِهريًا ساقه إلى النار، إنه قرآن أحكمت آيته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، إنه شفاء ورحمة للمؤمنين، ودائمًا يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى:{ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾} [الإسراء: ٩].

لتلك الدرر الكامنة في كتاب ربنا، أقبل عليه القوم، وتنافسوه قديمًا وحديثًا، فرتعوا في رياضه، ونهلوا من معينه، وبادروا إلى تلاوته، وحفظه، وتاجروا مع ربهم، فكانت نعم التجارة، وربح البيع لهم، فكانوا حقًا وصدقًا، أنموذجًا يحتذى، وفي القرآن الكريم: { إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾} [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

إخوتي في الله، هاهو النبي صلى الله عليه وسلم يضرب أروع الأمثلة في الاعتناء بكتاب الله، بالقرآن الكريم، وتعامل صلى الله عليه وسلم مع القرآن بما هو أهله، فكان عليه الصلاة والسلام يأخذ القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام، ويقوم من فوره بإعلام من معه من الصحابة بما نزل عليه، ولا يتوانى في ذلك بأبي وأمي وروحي صلوات الله وسلامه عليه، مستجيبًا لأمر الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ} [المائدة: ٦٧].

كما كان الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين، كانوا يحفظون الآية أو الآيات عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتدبرونها، ويعقلون معناها، ثم يتوجهون إلى أسرهم وأهاليهم، مبلغين تلك الآيات الكريمة كما حدث في آيات الحجاب وغيرها...

الله أكبر، أولائك هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليت لنا من فضلهم نصيب، فقد كانوا يُقبلون على مائدة القرآن، يقرؤون بخشوع وتدبر، وتأمل، محتسبين الأجر والثواب من عند الله جل وعلا، قال الرسول صلى الله عليه وسلم :ﷺ**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**ﷺ، رواه مسلم.

ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران)، متفق عليه.

فلا غرابة ولا عجب، أن تجد أحدهم إذا قرأ من القرآن الكريم، وكأنه يعيش عالمًا آخر، فعن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: (قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة غشيته، قال: فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال:ﷺ**اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن**ﷺ، وفي رواية:ﷺ**تنزلت للقرآن**ﷺ، رواه مسلم.

القارئ العزيز، إن بركة القرآن تتحقق في العمل به، والعمل على تعليمه ونشره، وإفساح المجال أمامه ليؤدي رسالته في الحياة، مصداقًا لقول الله جل وعلا:{وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾} [الأنعام: ١٥٥].

إن القرآن الكريم منهج حياة المسلمين، وهو مصدر غنىً واسع للإنسانية جمعاء، ينفحها بكل خير، فلا تذكر فضيلة إلا ويذكر القرآن الكريم، ولا تواصى الناس بعدل أو مرحمة إلا وجدوا ذلك منحة القرآن لهم، فمتى ندرك أيها الفضلاء ذلك؟

علينا أن لا نجعل مبلغنا من كتاب ربنا أن نستوعب آياته اتقانًا وتجويدًا، ثم ننحى بحياتنا منحًى آخر، فلا يزكي القرآن لنا نفسًا، ولا

يرفع لنا رأسًا.

يجب أيها الإخوة أن نرى ثمرة القرآن الكريم علمًا نافعًا، وثقافة رشيدة، ثم سلوكًا وعملاً يرسم المسار الصحيح للحياة الآمنة وقرارها المطمئن، فما أنزل القرآن إلا ليفهم الناس روحه، ويفقهوا مقاصده، ويلتزموا حدوده وآدابه، قال تعالى:{كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾} [ص: ٢٩].

إن القرآن الكريم كتاب يحيي النفوس، ويرفع الهمم، ويصنع الأمم، ويبني الحضارات،{قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾} [المائدة: ١٥ - ١٦]، وفي الحديث:♂**إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين**═، رواه مسلم.

فينبغي علينا أن نقبل على هذا الكتاب لنُرفعَ به، ولتستقيم حياتنا، وتُشفى أسقامنا، وتنار دروبنا، وتطمئن نفوسنا وقلوبنا، فهو الكتاب الوحيد الذي لا ينكر أحد بأنه:{لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢].

اللهم اجعل القرآن الكريم العظيم ربيع قلوبنا، وشفاء صدورنا، ونور أبصارنا، وجلاء همنا وغمّنا وأحزاننا، آمين آمينَ آمين، يا رب العرش العظيم.

* * *